



داود تلحمي

اليسار الجذري... واليسار الإصلاحي.. أو يسار الوسط

هذه الأحزاب اليسارية الأخيرة التي اتخذت منحى إصلاحياً يعتمد بالإسراع على النشاط البرلماني والسياسي، وغالباً ما احتفظت لنفسها بلقب (الإشتراكية الديمقراطية)، الذي كان سائداً، كما ذكرنا، في الألفية الثانية، استمرت حضورها السياسي في بلدان أوروبا وبلدان أخرى في أنحاء العالم إلى يومنا. علماً بأن نفوذها في حقبة ما بين الحربين العالميتين، التي شهدت صعود الفاشية والنازية في أوروبا، كان محدوداً نسبياً. وهي اتسعت في نفوذها وتأثيرها بعد الحرب العالمية الثانية. وتجاوزت طابعها الأوروبي بالإسراع، مع حضورها في بعض الدول التي استوطنت فيها مجموعات أوروبية، مثل أستراليا ونيوزيلندا وجنوب إفريقيا وبعض دول أمريكا اللاتينية، ثم في عدد من بلدان العالم التي كانت مستعمرة في آسيا وإفريقيا، حيث انضم بعض الأحزاب في هذه البلدان إلى (الألفية الإشتراكية)، التي أسستها بعض الأحزاب الإشتراكية الديمقراطية في أوروبا الغربية في مدينة فرانكفورت الألمانية عام ١٩٥١.

وقد تخلّت غالبية هذه الأحزاب رسمياً، منذ عدة عقود، عن تبنيها للماركسية، التي ورثها معظمها من الألفية الثانية في أواخر القرن التاسع عشر. فالحزب الاجتماعي الديمقراطي الألماني (ويُترجم اسمه أحياناً بصيغة الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني، مع أن الصيغة التي أوردناها أقرب إلى الترجمة الحرفية للإسم الحالي)، وهو أقدم حزب في ألمانيا حيث تأسس في صيغته الأولى في عام ١٨٦٣، هذا الحزب تخلّى رسمياً عن تبنيهِ للماركسية في المؤتمر الذي عقده في مدينة باد غودسبيرغ عام ١٩٥٩.

وحسب الحزب الشيوعي الإيطالي العرقي، الذي تأسس في عام ١٩٢١ ورثاً للغالبية الحزب الإشتراكي الإيطالي، الذي كان قد تأسس في عام ١٨٩٢، فقد كان له دور بارز في الحركة الشيوعية العالمية واليسار الدولي طوال عقود طويلة، وقد كان من بين أبرز مؤسسيه القادة والمفكرين الشيوعيين المتميزين أنطونيو غرامشي، فقد انتقلت أغلبية منه في عام ١٩٩١ رسمياً إلى مواقع الأحزاب الإشتراكية الديمقراطية. بعد قرار حل الحزب الشيوعي وتأسيس الحزب الديمقراطي اليسار، وهذا الحزب شارك في حكومات ائتلاف يسار الوسط التي تشكلت بعد عام ١٩٩٦. فيما بقيت أقلية من الحزب الشيوعي الإيطالي السابق معارضة لحل الحزب، وتمسكة بالاستناد الفكري إلى الماركسية، فقامت، مع قوى وجماعات يسارية جذرية أخرى، الحزب الشيوعي - إعادة التأسيس، ويكتب اسمه أحياناً بصيغة حزب إعادة التأسيس الشيوعي. وكلا التيارين المنبثقين عن الحزب الشيوعي الإيطالي القديم شاركا في ائتلاف يسار الوسط الذي تشكل في إيطاليا عشية انتخابات نيسان ٢٠٠٦، الذي ترأسه الأستاذ الجامعي وفوز الاتحاد الأوروبي السابق رومانو بروفدي. وبعد النجاح في الانتخابات، شارك في الصيغة الحكومية التي انبثقت عنها. وتولى أحد رموز (ديمقراطي اليسار) القيادية رئاسة الجمهورية، وهو جورجيو نابوليتانو. بينما تولى المسؤول الأول لحزب إعادة التأسيس الشيوعي بين عامي ١٩٩٤ و٢٠٠٦، التقابلي العمالي فاوستينو بيرتينوتي، رئاسة مجلس النواب. وفي السنوات اللاحقة، تفرقت مكونات هذا الحزب الأخير ووضعت حضوره في الهيئات التشريعية الإيطالية إلى حد التلاشي.

وهكذا، نلاحظ أن كلا التيارين الرئيسيين في اليسار الأوروبي المعاصر، التيار الماركسي (الشيوعي) والتيار الإشتراكي الديمقراطي، أو بالأحرى الاجتماعي الديمقراطي، الذي تخلّى معظم أجزائه عن تبني الماركسية فُكرًا وموجهًا، واستمر في الحضور والنشاط السياسي طوال العقود التسعة وتيفت الأخيرة منذ الثورة البلشفية. مع أن التيار الأول تراجع نفوذه الانتخابي بشكل ملحوظ في أوروبا الغربية خلال العقود الأخيرة، على خلفية انعكاس انسيابات التجارب الإشتراكية في الاتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية منذ عام ١٩٨٩، ولأسباب أخرى مرتبطة بتاريخ كل حزب من هذه الأحزاب وسياساته. أما التيار الثاني فتتوَّعت في صفوفه المدارس والتأثيرات، واقترب بعضه من سياسات أحزاب اليمين والوسط في الممارسة، خاصة في المجال الاقتصادي، كما هو الحال بالنسبة لحزب العمال البريطاني، في مرحلة رئيس الحكومة الأسبق توني بليير، والحزب الاجتماعي الديمقراطي الألماني في مرحلة المستشار السابق غيرهارت شرودر. وكان مفهوماً، في هذا السياق، أن يشهد حزب شرودر، في أواخر العقد الأول من القرن الحادي، انشقاق التيار اليساري في الحزب وانضمامه إلى الحزب الذي ورث الحزب الحاكم سابقاً في ألمانيا الشرقية حتى عام ١٩٩٠، ليشكل معاً حزب (اليسار).

(الحوار المتعدد)

أصبح اليسار في فرنسا، بلد منشأ هذا المصطلح إبان الثورة الفرنسية، وفي أوروبا عامة، في أواخر القرن التاسع عشر، يتشكل من تيارات سياسية واقتصادية - اجتماعية متنوعة تأثرت بمناخات الثورة الفرنسية بتنوع مشاربها، وبالثورات اللاحقة التي حدثت في بلدان أوروبية أخرى في ذلك القرن. وهو ما اتضح من المدارس المختلفة التي كانت سائدة في إطار الانتفاضات العمالية التي شهدتها عدة مدن فرنسية في عام ١٨٧١، وخاصة في العاصمة باريس، حيث استولى العمال هناك على السلطة لعدة أسابيع في ثورة عمالية باتت معروفة باسم (كومونة باريس). لكن الغلبة في صفوف اليسار الأوروبي أصبحت، في أواخر ذلك القرن، وخاصة بعد قمع كومونة باريس، للمدرسة الفكرية التي أسسها في أواخر القرن المفكران اليساريان الألمانيان كارل ماركس وفريدريش إنغلز، وعُرفت، حتى في حياة كارل ماركس، باسم الماركسية.

وقد شهدت تلك الفترة، كما السنوات الأولى للقرن العشرين، معركة أيديولوجية وسياسية حادة نشأت، في عدة بلدان من القارة الأوروبية، وخاصة في ألمانيا، بين اليسار الذي بات يميل إلى اعتماد الطريق البرلماني والأساس وسيلة لتغيير الوضع الاجتماعي والسياسي للمواطنين، أو تحسينه، الذي عُرف باسم التيار الإصلاحي، واليسار الأكثر جذرية الساعي إلى تغيير عميق، ثوري، يتجاوز النظام الرأسمالي باتجاه التحول نحو نظام اقتصادي - اجتماعي، وآخ، المعروف باسم النظام الاشتراكي، والمستند على مبدأ الملكية العامة لوسائل الإنتاج.

وعشية الحرب العالمية الأولى، التي اندلعت في أواخر عام ١٩١٤، وقعت خلافات حادة في أواخر قوى اليسار الإشتراكي في أوروبا فيما بينها، ومُعظم هذه القوى، كما ذكرنا، كان متبنياً للماركسية، فعشية (الحرب الكبرى)، كما كانت تُسمى إلى أن اندلعت حرب عالمية أخرى في أواخر الحربين العالميتين، فأصبحت تُعرف باسم الحزب العالمية الأولى، برزت اتجاهان رئيسيان في الألفية العالمية (الألفية الثانية)، التي كانت قد تأسست في عام ١٨٨٩ وشارك في تأسيسها فريدريش إنغلز (كارل ماركس توفي عام ١٨٨٣، بعد أن كان، مع إنغلز، من مؤسسي الألفية الأولى عام ١٨٦٤، والتي كانت تُعرف عند تأسيسها باسم الرابطة العالمية للشيوعية)، اتجاه عام، خاصة في برلمانات الدول المتحاربة، لموقف الحكومات اليمينية في كل منها من الحرب، حيث قام نواب هذا الاتجاه بالتصويت لصالح اعتماد موازنات الحرب، واتجاه آخر معارض لكل هذه الحكومات ومنهض للحرب، التي اعتبرها (حزب ضواري) بين دول كلها إمبريالية، وكلها تحاول حل الحرب إعادة رسم خارطة أوروبا وإعادة اقتسام مستعمرات دولها في أنحاء العالم.

وكان الروسي فلاديمير إيليتش أوليانوف (المشهور باسمه الحركي، لينين) أحد أبرز رموز التيار الأخير. وبيات أكثر بروزاً بعد انتصار الثورة التي قادها في روسيا القيصرية في أواخر عام ١٩١٧، وبعد خروج روسيا ما بعد الثورة من الحرب، ومن بين المعارضين الآخرين لهذه الحرب في الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية الأوروبية، وهو الإسم الذي كانت تحمله معظم الأحزاب الملزمة بالماركسية آنذاك، زعيمه الجناح اليساري الجذري في الحزب الإشتراكي الديمقراطي الألماني (وهي من أصل بولوني) روزا لوكسمبورغ، التي انتهدت، مع رفيقها في قيادة هذا الجناح كارل ليبكنيتش، بالسقوط ضحية قمع الأوساط المناهضة لهذا اليسار الجذري في ألمانيا في مطلع عام ١٩١٩، إثر محاولات لم تنجح لتنظيم ثورة عمالية في هذا البلد، الذي خرج من الحرب العالمية الأولى مهزوماً ومازوماً، اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً.

وفي عام ١٩١٩، وبعد حملات وصراعات أيديولوجية حادة قادها لينين، خاصة، ضد هذا اليسار (الشيوعي واليسار) في أوروبا، حصل الطلاق النهائي في إطار ما كان يُعرف قبل الحرب باسم الألفية العمالية، أو الألفية الثانية. إذ قام القادة الثوريون المنتصرون في روسيا (الاتحاد السوفييتي تأسس في نهاية عام ١٩٢٢ وأقر دستوره الفيدرالي في مطلع عام ١٩٢٤) بتأسيس أممية جديدة للحركة العالمية اليسارية العالمية، مركزها في موسكو، حملت اسم الألفية الشيوعية (كوميونيتيرن)، وهي صيغة دمج للمقاطع الأولى للكلمتين في اللغة الروسية، وعرفت أيضاً باسم الألفية الثالثة، تمييزاً لها عن تلك التي تأسست في عام ١٩٨٩ وانتمت إلى الانقسام، والذين بقوا في مناخ التيار السابق الميمن على الألفية الثانية عادوا فتمجموا لمواجهة تحدي التجربة السوفييتية الجديدة، وأطلقوا على تجمعهم لاحقاً اسم الألفية الإشتراكية)، أو (الدولية الإشتراكية).

محمد الزبيدي

■ تميز الربع الأخير من القرن الماضي وأوائل القرن الحالي بتجدد واسع للفكر السلفي في سوريا وفي معظم البلدان العربية والإسلامية، مما شكل ويشكل خطراً جديداً على التطور المدني والديمقراطي في هذه البلدان. وتظهر الصورة واضحة من خلال الأحداث الجارية فيها، ويبدو الأمر للرائي وكأن عجلة التطور تسير إلى الوراء، فقد كان من المفروض تجاوز هذا الفكر الظلامي الذي يعود بشعوب المنطقة إلى الماضي السحيق.

لقد جرى إجهاض الفكر النهوضي التنويري الذي بدأ في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، واستمر بالتطور حتى منتصف القرن الماضي.

إن كل ذلك يدعونا للتساؤل عن الأسباب التي أدت إلى تطور فكري معاكس في هذه البلدان؟ أين كانت تكمن جوانب الضعف في مسيرة شعوبنا التي درب التطور الإنساني؟ ولقد استماعت قوى التحرر من السيطرة الاستعمارية في سورية ومصر، على سبيل المثال، أن تقوم بإنجازات هامة على الصعيد السياسي، أبرزها وضع النواة لتكوين مدني، في هذين المجتمعين، كان جوهرها فصل السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، وحرية الراي

والأحزاب والجمعيات والنشاط السياسي، وحرية التعبير، وحرية الإعلام وتداول السلطة... إن كل ذلك شكل بداية لتكوّن مجتمعات مدنية، وشكل أيضاً أرضية لاستكمال مقومات الدولة المدنية. بيد أن نقاط الضعف الأساسية كانت تكمن في المسألة الاقتصادية والاجتماعية، لم تستطع هذه الحركات الوطنية إنجاز مهام الثورة الوطنية كاملة.. وكانت، في كثير من الأحيان، مترددة في اتخاذ تدابير تمس مصالح أوسع فئات الجماهير الشعبية. لم تستطع مثلا، البرجوازية الوطنية السورية، وكذلك المصرية، أن تزيل من الريف العلاقات الإقطاعية التي كانت تعيق التطور الزراعي، والتي كانت تجعل من الفلاح وحياته قريباً من حياة الأثمن، الأمر الذي عزلها عن جماهير واسعة من الريف. كذلك لم تستطع أن تصوغ سياسة حازمة تماماً ضد الاستعمار القديم الذي كان يشكل عاملاً كبح لتطور هذه البلدان الاقتصادي والاجتماعي، وكان ينفخر إليها كمصدر للثروات الخام فقط، وكان يقوم بنهبها.

إن عجز قادة حركة التحرر من الاستعمار القديم عن حل مشاكل التنمية الاقتصادية والاجتماعية إذاً، شكّل أحد أبرز نقاط ضعف الحركات الوطنية آنذاك.. الأمر الذي فجع المجال لقوى اجتماعية أخرى، لم يكن دورها بارزاً في الصراع ضد الاستعمار، أن تخرج إلى الساحة السياسية بزخم كبير، وحاولت أن تظهر بمظهر

الفكر الظلامي وإشكالية التطور المدني!

القادر على حل هذه المشكلات. وتديرياً أخذت هذه القوى تتحول إلى قوى سيطرة على الحركة السياسية في مصر وسورية، كما قلنا على سبيل المثال. بيد أن هذه القوى الجديدة التي دخلت الساحة، كانت تفتقد إلى المشروع الديمقراطي، الأمر الذي جعل الموة تزداد بينها وبين الجماهير الشعبية، وأحدث فراغاً مجتمعياً لم تكن توجد أية قوة قادرة على ملئه سوى القوى

الأصولية. إن موقف التعالي وتمهيش الجماهير الشعبية والخوف من قوى التغيير الجذري في المجتمع، واعتبار هذه القوى تشكل الخطر الرئيسي، كل ذلك أدى إلى تسطيح الحياة السياسية في هذه البلدان، وتراجعها عن المشاريع التغييرية التي طرحتها سابقاً، وبالتالي عجزها عن حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، الأمر الذي أدى إلى أزمة مجتمعية في هذه البلدان. ويضاف إلى كل ذلك، التحويل الواسع للفكر الأصولي من قبل الرجعيين العربية وغيرها، وبتشجيع من بعض البلدان الغربية، مستغلين الأزمة الاقتصادية والاجتماعية.. كل ذلك دفع بالفكر الأصولي إلى

القدمية. إن كل من يعتقد أن الفكر الأصولي قادر على حل الأزمة، وهو لم يعل العكس، سيزيد من حدتها، وهذا ما أدى وسيؤدي إلى انقسامات واسعة بين الجماهير الشعبية على أساس

طائفي ومذهبي. وأدى ويؤدي إلى تكوّن وعي مشوّه للجماهير الشعبية التي لا مصلحة لها أبداً بالصدام بعضها مع بعض.. ومن حيث الجوهر، فإن هذا الاتجاه الأصولي، في حال استطاع تحقيق نجاح ما، سيؤدي إلى زعزعة الاستقرار في كل منطقة الشرق الأوسط دون استثناء، ولن تكون شعوبها رابحة أبداً. وستدفع أثماناً باهظة حتى تعي مقدار خطر هذا الفكر.

إن مجابهة هذا الفكر، تحتاج إلى دراسة معمقة لأسباب انتشاره وتوسعه.. وانها لأتحل بالبرصايل ولا بالمداغف. إننا نحل فقط من خلال تفكيك القاعدة التي نمت عليها هذه الأفكار. إن محاربتها تبدأ من خلال رسم سياسات اقتصادية واجتماعية تخدم مصالح الجماهير الشعبية بأطرها الواسعة. إننا نتحقق من خلال الديمقراطية الاقتصادية ومشاركة الجماهير الشعبية الواسعة بإدارة بلدانها. إننا نتحقق من خلال بعث الأفكار المنهضوية التي تؤمن بحق الإنسان في الاعتقاد والتعبير عن الراي، والمشاركة في إدارة البلاد والحق في المواطنة. إننا نتجح عبر غرس الأفكار التنويرية التي لا تؤمن بالحقائق الثابتة، وإنما تؤمن بحركة الفكر اللانهائية.. من خلال كل ذلك يمكن محاربة هذا الفكر الظلامي التخفيري الذي يجر مجتمعاتنا إلى الوراء ويجعلها في أواخر ركب الحضارة الإنسانية.

لماذا كان ماركس محقاً؟! (٣٥)

ليس ممما أنه يُفكّر في جامعة أكسفورد، وإنما كيف يُفكّر. فأفكار علماء أكسفورد مطبوعة، كتفكير البشر الآخرين، بحقائق عصرهم المادية. لكن أغلبهم لم يفسّر أعمال أفلاطون، أو غيره من المفكرين، بطريقة تُشكّل في الحق في ملكية خاصة أو نظام ضمان اجتماعي، وما شابه. وعندما تقدّم جود إلى عميد إحدى كليات الجامعة يطلب يرحو فيه إرشاده إلى الطريقة التي يمكن بواسطتها أن يصعب طالباً في تلك الكلية، أتاه الجواب الصاعق بأن من مصلحة عامل مثله ألاّ يصعب طالباً. من مهزلة الأمور أن توماس هاردي، مؤلف الرواية، ذاته، كان سيوافق على هذه النصيحة، وإن كان لسبب آخر غير السبب الذي ذكره عميد الكلية (لماذا يجب أن يكون هناك بنيات فوقية عموماً)، وهذا سؤال مختلف تماماً عن: لماذا لدينا فن وقانون وديانة؟ هناك أجوبة عديدة عن هذا السؤال. لكننا نسال هنا عن سبب اضطراب الفن والقانون والدين إلى تبرير النظام القائم ودعمه؛ والجواب بسيط ومختصر: لأن (القاعدة) متخاضعة فيما بينها. بما أنها تستند إلى الاستغلال، يكتنفتها كثير من الخصومات. ومن واجب البنيات الفوقية تنظيم هذه النزاعات وتنظيمها والاستفادة منها. البنيات الفوقية هامة، لأن هذه الاستغلال، ولو لم يكن الأمر كذلك، لكان لدينا فن وقانون ولربما ديانة أيضاً، ولكن دورهم مختلفاً عن الدور المشبوه الذي يقومون به الآن، والاستطعنا، أكثر من ذلك، التحرر من القيود والاكواب عليها بحرية أكبر.

نموذج القاعدة البنية - الفوقية شاقولي يمكن أن ننصّوره أحياناً. في هذه الحالة ستكون القاعدة الحد - الأقصى لما هو ممكن سياسياً، وستعترض القاعدة في النهاية مع مطالباتنا، ولن تستجيب لأي شيء عند الموافقة على جميع الإصلاحات الأخرى. يتمتع هذا النموذج إذاً بأهمية سياسية. عندما يعتقد أحدنا أنه يمكن تغيير أركان المجتمع ببساطة عن طريق التأثير في تفكير الناس أو تشكيل حزب سياسي جديد، فيمكن أن نقول له بأن هذه الإجراءات قد تكون أحياناً هامة جداً، إلا أنها ليست بالمطلق ما يحدد اهتماماتهم، وأن عليه أن يوجه طاقاته إلى أهداف أكثر فائدة. فالقاعدة هي العقبة الأخيرة التي تصطدم بها السياسة الاشتراكية باستمرار، وهي الخط الأخير كما يستمها الأمريكيان. وبما أن الأمريكيان يقصدون أحياناً بتعبير الـ bottom line المال، لا يدرى المواطنون في بلاد الأحرار إلى أي مدى هم ماركسيون. وهذا ما أتضح لي عندما سافرت قبل عدة سنوات مع وكيل كلية العلوم الإنسانية في جامعة رسمية في وسط الغرب الأمريكي عبر حقول الذرة المزدهرة، فألقى نظرة على هذه الروعة الموقورة والصحة (قال: سيكون المحصول جيداً هذا العام، ربما يجلب لي ذلك عدة أعضاء جدد في هيئة التدريس).

ليس الماديين إذا مخلوقات بلا روح.. وإذا كانوا كذلك، فلا يعود الأمر إلى أنهم يعتقدون المذهب المادي.

تأليف: تيري إيغلتن

ترجمة: ماجد داوود

إبرينا داوود

قد تصرّف كعميل للسلطة الحاكمة. لا يزال الراي العجيب قائماً بأن الكتابة هدامة، حتى في الولايات المتحدة المشهورة بتفاهولها المرضي. على الرغم من ذلك، يمكننا القول من حيث المبدأ بأن هذه المؤسسات تتصرف أحياناً لصالح البنية الفوقية، وأحياناً أخرى لا تفعلها. إن تعبير (البنية الفوقية) يتطلب منا أن ننظر إلى أي تصرّف في سياق المعين. فالأمر هنا يتعلّق بمفهوم علائقي يسأل عن مدى علاقة نشاط معين بنشاط آخر. يقول جيرالد كوهين: (يشرّح المفهوم مؤسسات غير اقتصادية بواسطتها تؤدي إلى إنتاج جديد، لكنه ليس كذلك، نسبيها نحن أطفالاً. لاحظ ألباء الأسمان خلال الإنكماش الاقتصادي عام ٢٠٠٨ زيادة ملحوظة في أمراض الفكين الناجمة عن صرير الأسنان، الناجم عن التوتر النفسي لدى العديد من مرضاهم. وإزاء الكوارث المتلاحقة، لم يعد صرير الأسنان استعارة مكثية، بل حقيقة واقعة. عندما كان الكاتب مارسيل بروست لا يزال في رحم أمه، خافت أمه البرجوازية العريقة خوفاً شديداً عند اندلاع ثورة الحكومة الباريسية الإشتراكية. ويعتقد كثير من المعجبين أن خوف الأم هذا قد أدى إلى مرض مارسيل البريوي المزمّن طيلة حياته. وعلاوة على ذلك، هناك نظرية تقول إن جمل مارسيل الطويلة والغنية بالمنعطفات هي بمثابة تعويض عن ضيق نفسه. وهكذا نجد إذاً علاقة بين بنية جمل بروست ومكونته باريس.

من يعتقد أن البنية الفوقية نشأت كي تقوم بالمهام التي تقوم بها فعلياً (de facto)، فقد أخطأ في النظام. كما يصح ذلك بالنسبة للدولة، لكنه ليس كذلك في الفن، كما لا يمكن الإيعاز بأن كل ما يحصل في المدارس والصحافة ودور العبادة والدولة يخدم في دعم النظام الاجتماعي الراهن. عندما نعلم الأطفال في المدارس كيفية ربط شواطئ الأحذية، أو عندما يتبنّى الرائد الجوّي بالطقس، فلا علاقة لكل ذلك بما هو بنية فوقية، ولا يمكن بذلك الدفاع عن علاقات الإنتاج القائمة. صحيح أن الدولة ترسل قوّاتها الخاصة لتفريق المظاهرات السلمية العريقة خوفاً شديداً تبحث أيضاً عن الأطفال الثائمين أو المشرّدين. عندما تحرض الصحافة التي تعتمد على الإنارة المواطنين ضد المهاجرين الوافدين، تكون قد تصرّفت بوحى من البنية الفوقية. وعندما كتبت عن حوادث السير، فن المرجّح ألا يكون الأمر كذلك، رغم ذلك، يمكن استخدام حوادث السير دائماً ضد الحكومة. إذ يُمكن أن مساعدي تحرير زوايا الأخبار السياسية في جريدة (Daily Worker) الناطقة باسم الحزب الشيوعي البريطاني سابقاً تلقوا تقارير عن حوادث سير مع التلعلمية:

المعالجة من مُطلق طبقي، يارقيق!.. وبالتالي فإن القول بأن المدارس ودور العبادة ومحطات التلفاز تعود إلى البنية الفوقية، سيكون قولاً مشوّشاً. علينا ألاّ ننظر إلى البنية الفوقية على أنها مكان بل مجموعة من السلوكيات، ولربما رأى ماركس هذا الأمر غير ذلك، إلا أنه تدقيق مفيد لوجهة نظره.

صحيح أنه يمكن استخدام كل شيء لدعم النظام القائم. فعندما يخفّف اختصاصي الإحصاء الجوية من مخاطر الإعصار القادم حتى لا يُقلّق الخبرُ المشاهدين، ولأن المواطنين القلقين لا يعملون عادة بهمة المواطنين المرتاحين نفسياً ونشاطهم، يكون